

هو العليم

هل ننافي

الولاية النوحية؟!

إعداد: الهيئة العلمية في موقع المتقين - القسم العربي

تم انتخاب هذا البحث من: كتب سماحة آية الله العلامة السيد محمد الحسين الحسيني

الطهراني رضوان الله عليه ونجله سماحة آية الله السيد محمد محسن الحسيني الطهراني

حفظه الله

فهرس المحتويات

- ٢..... الله المتجلى في خلقه هو الولي
- ٤..... اتّصاف كلّ الموجودات بمقدار من الولاية
- ٥..... قابلية الإنسان لبلوغ أعلى رتبة من الولاية
- ٨..... الإنسان الكامل متحقّق بولاية الله المطلقة
- ١٠ ولاية غير الله تبعية وولاية الله استقلالية
- ١٠ (قصة السيّد القاضي والدرويش الذي يحوّل النحاس إلى ذهب في حرم أمير المؤمنين عليه السلام)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

الله المتجلي في خلقه هو الولي

يقول جلّ من قائل: {سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ} (١).

ولمّا كان الضمير في «أنه» عائداً إلى الله في الظاهر؛ و«شَهِيدٌ» إمّا بمعنى شاهد؛ وهو اسم فاعل؛ أو بمعنى مشهود، وهو اسم مفعول؛ فالآية - على كلّ التقديرين - تنبئنا أنّ الله مشهود في كلّ شيء؛ أو أنه شاهد وحاضر في كلّ شيء؛ فالأشياء - إذن - مظهر لوجود الله؛ وينبغي أن نرى الله فيها، لأنها لا وجود لها إلاّ بالحقّ؛ وأصالتها واستقلالها وجود الحقّ سبحانه وتعالى.

بيد أنّ هذا الموضوع خافٍ على العامّة، فهم ينظرون إلى الأشياء نظراً استقلالياً، ولهذا فهم لا يرون الله؛ ومن هذا المنطق فهم في خيبة ومريّة من لقاء ربّهم؛ وما أوهى هذا الشكّ، وأبين خطبه وخطأه! وربّهم بكلّ شيء محيط؛ وكلّ شيء يوجد به أوّلاً، ثمّ يتخذ له وجوداً وانتهاءً.

وحاصل الكلام أنه ليس هناك موجود مؤثّر في عوالم الوجود كلّها إلاّ الله تبارك وتعالى. ولو كان هناك موجود مؤثّر فبحوله وقوّته وليس هناك إلاّ ظهور الله تعالى وتجليّة؛ إذن، كلّ ما هو قائم يستند على الحقّ سبحانه وتعالى.

ومن هنا يستبين لنا بجلاء أنّ الولاية هي مع الموجودات جميعها، صغيرها وكبيرها؛ ذرّتها ومجرتها؛ وهي مع كلّ شيء، من الهيوالي الأوّليّة حتى الحجاب الأقرب والأعلى درجة من الموجودات القدسيّة المجرّدة.

(١) الآيتان ٥٣ و ٥٤ من السورة ٤١: فصلت

لأنه ما لم تكن هناك ولاية، فلا وجود لأيّ موجود، ولا يعقل أن يتقمّص موجود رداء الوجود. ذلك لأننا قلنا أنّ الولاية هي عبارة عن حصول شيئين حصولاً ليس بينهما ما ليس منها. وحيث ما يوجد كلّ موجود، فلا بدّ أن لا تكون بينه وبين الحقّ أيّ فجوة وثغرة، سواء في وجوده أو في علمه وقدرته وحياته، وذلك لكي يكون موجوداً، وإلا فإنّ إيجاده محال. ونحن نجد وندرك بالوجدان موجودات كثيرة بأشكال وسجايا متنوّعة، في الآفاق وفي الأنفس؛ وهذه كلّها خلقت مع الولاية؛ أي: لا فجوة ولا حجاب بينها وبين ذات الحقّ المقدّسة إلا وجودها وكيانها وتعيّنها. ولو صادف أحياناً وجود شيء بينها وبين الحقّ غير تعيّنهما وماهيّتها، لاستحال الخلق في هذه الحالة، ولفصمت عرى الارتباط بين الله والموجودات. إنّ الموجودات كلّها مع الله؛ ومرتبطة به، بل إنّ وجودها هو عين ارتباطها؛ وهذا هو معنى الولاية.

إذن، وجود كلّ موجود ملازم للولاية؛ والولاية لله الحقّ، وولايته مع كلّ موجود. ومن هنا نفهم حسناً قوله تعالى: **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ}**^(١)، وقوله تعالى: **{عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}** و **{بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ}**.^(٢) وندرك جيّداً أيضاً كيف يكون الوليّ أحد أسماء الله، لأنّ ما يلزمه هذا الاسم هو وجود ولايته مع الموجودات جميعها، كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير، ونفهم جيّداً أيضاً ما هو المعنى الذي تحمله

(١) الآية ٥، من السورة ٥٧: الحديد.

(٢) [سُئِلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!]

قَالَ: بِمَا عَرَفَنِي نَفْسَهُ!

قِيلَ: وَكَيْفَ عَرَفَكَ نَفْسَهُ؟!]

قَالَ: لَا يُشَبَّهُهُ صُورَةٌ وَلَا يُحْسَبُ بِالْحَوَاسِّ سُئِلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!]

قَالَ: بِمَا عَرَفَنِي نَفْسَهُ! قِيلَ: وَكَيْفَ عَرَفَكَ نَفْسَهُ؟!]

قَالَ: لَا يُشَبَّهُهُ صُورَةٌ وَلَا يُحْسَبُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ. قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ. فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ: شَيْءٌ فَوْقَهُ، أَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ: لَهُ أَمَامٌ.

دَاخِلٌ فِي الْأَشْيَاءِ لَا كَشَيْءٍ دَاخِلٍ فِي شَيْءٍ؛ وَخَارِجٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا كَشَيْءٍ خَارِجٍ مِنْ شَيْءٍ.

سُبْحَانَ مَنْ هُوَ هَكَذَا وَلَا هَكَذَا غَيْرُهُ وَلِكُلِّ شَيْءٍ مُّبْتَدِئٌ (معرفة الله، ج ٢، ص: ٩٤)

الآيات الكريمة التي تنسب الولاية إلى الله. قال تعالى: {قُلْ أَعْيُرُ اللَّهَ أَنْتُمْ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (١)
أي: أن ما يلزمه ويفرضه الخلق هو الولاية.

اتصاف كل الموجودات بمقدار من الولاية

ولما كنا نعلم أن اختلاف الموجودات في قربها من الحق تعالى وبعدها عنه هو اختلاف حجبهم؛
أي: كثرة التعيينات وقتلتها؛ أو بكلمة بديلة، اتساع الماهيات والحدود والقيود الوجودية أو ضيقها، وأن
عالم الكثرة والوجود ظهر بهذا الشكل الباهر الجميل وفقاً لذلك الاختلاف، فلا يتكافأ - إذن - حظ
الموجودات كلها من الولاية، كما لا يتكافأ حظها من علم الحق وحياته وقدرته. وكلما كان الموجود إلى
الحق أقرب، وماهيته أوسع، ووجوده أفسح، وتجرده أكثر، كانت ولايته أكثر، أي: كان حجابها أقل؛ وكلما
كانت ماهيته أضيق، ووجوده أصغر، وتجرده أقل، كانت ولايته أقل؛ أي: كان حجابها أكثر.

ولما كنا نعلم أن شدة الولاية متلازمة مع شدة النور والعلم والحياة والقدرة وسائر أسماء الله
الآخري؛ فإن ضعفها يتلازم مع ضعف النور والعلم والأسماء الإلهية الآخري. ولذلك فإن كل موجود
أقرب إلى الله عمومًا، أي: أن حجابها أقل وولايته أقوى؛ فإن شعاع نوره وحياته وعلمه وقدرته يمتد في
العالم أكثر، وإحاطته أشدّ وأشمل وسيطرته وهيمنته على ما سوى الله أكثر، وتدبيره وتكفله في عالم
الإمكان أوسع؛ وبكلمة بديلة، فإن مقدارًا كبيرًا من الموجودات الممكنة يقع تحت إشعاع نوره، وفي
قبضته وتدبيره والعكس بالعكس.

ونحن نرى بالوجدان أن تأثيرات وتأثرات تجري في هذا العالم؛ بعضها صغير كطيران الذباب،
وحركة البعوض؛ وبعضها كبير كخلق الفيل.

بعضها كالذرة، وبعضها كالشمس والقمر والكواكب الثابتة والسيارة.

بعضها كفهم وإدراك دابة بسيطة مثل دودة بين طيات التراب، وبعضها كعلم وإدراك جبرئيل

والروح وهو من الملائكة المقربين.

(١) الآية ١٤، من السورة ٦: الأنعام.

وفي ضوء ذلك، لا بدّ أن يكون علم هذه المخلوقات المقرّبة وقدرتها، وسعة حياتها، وتألق نورها المعنويّ أقوى، فهي تدير عالمًا بذلك بأكمله، على عكس تلك الذرّة والدودة اللتين ليس لهما هذا العلم والحياة؛ ولا حاجة لهما طبعًا.

وفي ضوء هذا الكلام فإنّ المخلوقات جميعها، من المادّة التافهة الضعيفة، إلى جبرئيل الروح الذي يحظى بمقام أفضل من سائر الملائكة، لكلّ واحد منها درجة خاصّة، وله حدّ معيّن من العلم والحياة والقدرة، وبالتالي حدّ خاصّ من الوجود؛ وتبعًا لذلك فإنّ كلّ واحد في درجة خاصّة ومنزل معيّن من الولاية.

أجل، لا ريب ولا شكّ في كلّ ما قلناه حتى الآن؛ والأدلة العقلية معنا خطوة فخطوة، وشهود العارفين العظام ووجدانهم يدعم هذه المواضيع بكلّ تفاصيلها؛ كما جاءت بذلك الآيات والروايات التي تفوق حدّ الإحصاء وإمكانية الاستقصاء.

قابلية الإنسان لبلوغ أعلى رتبة من الولاية

وينبغي الآن أن نرى:

أين يكون موقع الإنسان على درب الولاية الطويل؟ وما هو مقدار حصّته من الماء المعين لمنهل

شريعة الوحدة؟

لا يخالنا الشكّ أنّ الإنسان مهما كان شكله أو صورته أو مكانه أو عرقه، فهو يتمتّع بقابلية يمكنه من خلال حركتها أن يوصل درجة استعداده إلى الفعلية والظهور، وأن يوسّع نطاق وجوده بمقدار ملحوظ، وأن يزيد من علمه وقدرته.

فلم يجز أحد من الناس ملكة العلم والطبّ، وأنواع المهن والصناعات، والكتابة وما مائلها منذ ولادته، بل حازها وتمكّن منها بواسطة التمرّس، وجهاد النفس، والتربية والتعليم في مدرسة خاصّة.

ويمكن أن يكون سير الإنسان باتجاه الهاديّات، وازدياد الشهوات، والجاه، وسائر الشؤون الاعتبارية الدنيوية، فيظفر بموقع مرموق في هذا المجال. كما يمكن أن يتركّز نشاطه على مضاعفة

المعنويّات، والعلم والفكر، وطهارة الباطن، وصفاء القلب، وتعزيز الفكر، ومن ثمّ اجتياز المراحل
الماديّة الجزئيّة وبلوغ حقائق العلم والقدرة والحياة في آخر المطاف.

إنّ السير إلى الله، وبلوغ مقام العزّ الشامخ للحقّ تعالى جبلة فطر عليها الإنسان. وإمكان بلوغ هذه
الدرجة، من ذاتيات النفس الناطقة.

وقد أثبتنا في الدروس السابقة أنّ الإنسان بوسعه أن يحظى بدرجات وكمالات في السير إلى الله،
وأن يصل - في مراحل الفناء في الله - إلى مرحلة الفناء في الفعل، والفناء في الاسم والصفة، والفناء في
الذات، ويبلغ بذلك مقام الوصول؛ فطريق العرفان والتكامل مفتوح أمامه.

ولابدّ أن نعلم - طبعاً - أنّ الإنسان الذي نتكلّم عنه، لا نعني به ذلك الجسم الماديّ والطبيعيّ
المحدود الذي يشغل حيّزاً من الفراغ يبلغ مترين، بل نعني به: نفسه الناطقة وروحه التي يتيسّر لها
التحرّك والسير في تلك المراحل.

وعندما يبلغ الإنسان مقام أيّ اسم من أسماء الحقّ تعالى، فإنّه يصبح مظهرًا لذلك الاسم؛ ويتجلّى
ذلك الاسم في وجوده. فلو كان مظهرًا لاسم الجمال مثلاً، فإنّه يصبح جميلاً. وكذا لو كان مظهرًا لاسم
الجلال فإنّه يصبح جليلاً. ولو كان مظهرًا لاسم العليم، فإنّه يصبح عالمًا. ولو كان مظهرًا لاسم القدير،
فإنّه يصبح قادرًا.

وكما تختلف المظهرية تبعًا لتباين درجات الوصول. فالإنسان العادي هو بالمقدار الملحوظ مظهر
اسم العليم، والسميع، والبصير، والقدير، والحيّ.

ولذلك فقد اكتفى بهذا المقدار من الحياة، والعلم، والقدرة، والبصر، والسمع. فكلّما ازداد سير
الإنسان نحو الحقّ، واصّاعدت مظهرية الأسماء والصفات، فإنّ تجلّي هذه الأسماء والصفات يتضاعف
أكثر فيه.

أي: كلّما اجتاز الإنسان محدودية وجوده وماديّته، فإنّه يلج البحر الخضمّ للأسماء والصفات أكثر،
فينال بذلك حظًا أكبر. حتى يبلغ محلاً يكون فيه المظهر التامّ للاسم والصفة. أي: يصل إلى مقام الفناء
المطلق في الاسم والصفة، كما في اسم العالم، والقادر، والرحمن، والرحيم، وغيرها. وفي مثل هذه الحالة،
فإنّ ذلك الاسم سيتجلّى في الإنسان بنحو أتمّ وأكمل.

وإذا بلغ أحد مقام الفناء في اسم العالم وصفة علم الحقّ تعالى، فإنه يصبح المظهر التامّ لاسم العالم وصفة علم الحقّ تعالى. أي: يطلع على كلّ مكان، وكلّ أحد، وكلّ شيء، ويصبح ما كان وما يكون وما هو كائنٌ عنده سواء. فالعلم بالمجرّدات، والعلم بالمادّيات، والعلم بالدنيا، والعلم بالآخرة، سيكون بأجمعه حاضرًا عنده. أي: أنه يدرك الموجودات بالعلم الشهودي، والحضوريّ والوجوديّ.

وإذا بلغ أحد مقام الفناء في اسم الحيّ، وصفة حياة الحقّ تعالى فإنه يصبح المظهر التامّ لذلك الاسم، ولصفة حياة الحقّ تعالى. أي: أنه موجود مع جميع الموجودات بحياة الحقّ. وتكون له المعية في الحياة مع كلّ شيء اعتبارًا من الذرّة الصغيرة حتى الأشياء الكبيرة.

وكذلك إذا بلغ أحد مقام الفناء في اسم القادر، وصفة قدرة الحقّ تعالى، فإنه يصبح المظهر التامّ لذلك الاسم والصفة، ويكون قادرًا على القيام بكلّ شيء، الكبير والصغير عنده سواء. ويصبح قادرًا على كلّ شيء بقدرة الحقّ المتعال، كالإحياء والإماتة، وشفاء الأمراض، وإحداث تغيير وتبديل في الأمور والأوضاع بإذن الحقّ تعالى.

وإذا بلغ أحد مقام الفناء في اسم «الله» أو في اسم «هو» فلان الله اسم جامع لصفات الحقّ كلّها فإنه لذلك سيكون مظهرًا لكلّ صفة واسم، وسيكون له الإحياء، والإماتة، والقدرة على كلّ أمر من الامور، والعلم بكلّ حادثة من الحوادث.

ومن الطبيعيّ فإنّ علينا أن لا ننسى بأنّ هذه الأعمال تتحقّق تحت عنوان: المظهرية والتجليّ. أي: بإذن الله تعالى. وبكلمة بديلة، العمل هو عمل الله ذاته الذي يتجلىّ في هذه الآية وهذه المرأة، لأنّ كلّ موجود عدا الحقّ - مهما كان العنوان والتعبير - ليس له استقلال في الوجود، أو استقلال في الاسم والصفة. وفي هذه الحالة، فإنّ الحقّ هو الذي يهب ظهور اسمه وصفته.

كما أنّ الاسم والصفة في جميع الموجودات مختصّان بالحقّ وحسب. غاية الأمر، أنّها يظهران ويتجليّان في ماهيّات وتعيّنات متباينة بأشكال متنوّعة. وإلاّ فإنّ الحقّ المتعال لا يتنازل أبدًا عن مقام عزّ قدسه الشامخ، ولا يمنح أيّ موجود صفة أو اسمًا بصورة مستقلّة، فإنّ هذا المنح يتنافى مع سعة عزّه، وهو تبارك وتعالى لا يُذلّ ولا ينكسر ولا يعجز أبدًا، وما برح ثابتًا في مقام عزّه.

الإنسان الكامل متحقق بولاية الله المطلقة

وبعد أن بلغ الإنسان مقام الفناء التام، وتيسر له الفناء في الذات، والصفة، والاسم، والفعل، وطوى

أسفاره الأربع:

الأول: السَّفَرُ مِنَ الْخُلُقِ إِلَى الْحَقِّ؛

والثاني: السَّفَرُ فِي الْحَقِّ بِالْحَقِّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مَعَ الْحَقِّ؛

والثالث: السَّفَرُ مِنَ الْحَقِّ إِلَى الْخُلُقِ بِالْحَقِّ؛

والرابع: السَّفَرُ فِي الْخُلُقِ بِالْحَقِّ،

فإنه يصبح إنساناً كاملاً، ويبلغ درجة كماله المطلق، وتبلغ جميع القوى والقابليات الإلهية المودعة في وجوده مقام الفعل المحض، ويكون إنساناً بالفعل، ويصبح مرآة مجلوة لصفات الجمال والجلال والذات الأحديّة، وتكتمل ولايته، أي أنه يصبح ولياً مطلقاً بالولاية الإلهية الحقّة. إذن، يكون مع جميع الموجودات بولاية الحقّ تعالى، ويتصرّف في كافة الأمور بإذن الله، لأنّ هذا ما يلزم مقام الولاية المطلقة.

بل إنّ الولاية المطلقة للحقّ سبحانه وتعالى ليست شيئاً غير هذه الولاية. وفي ضوء هذا الأساس،

يقول جلّ من قائل: **{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}**.^(١)

وهذه هي الدرجة العليا من القوام الإنساني، وهي صلاحيته وفقاً لخلقته، للعروج إلى الرفيق الأعلى، والظفر بالحياة الأبدية السرمديّة عند الله، والتحقّق بأسائه عزّ وجلّ وصفاته الكليّة.

ومن هذا المنطلق يقول الله أيضاً: **{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}**.^(٢)

وهذا هو معنى خليفة الله؛ ومؤدّى الحديث الشريف المأثور عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه

وآله وسلّم: **خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**.^(٣)

(١) الآية ٤، من السورة ٩٥: التين.

(٢) الآية ٣١، من السورة ٢: البقرة.

(٣) «جامع الأسرار» للسيد حيدر الأملي ص ١٣٥.

وفي مقام هذا الإنسان ومنزلته ومرتبته ودرجته، يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليها السلام:

إِنَّ الصُّورَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ هِيَ أَكْبَرُ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؛ وَهِيَ الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ بِيَدِهِ؛ وَهِيَ الْهَيْكَلُ الَّذِي بَنَاهُ بِحِكْمَتِهِ؛ وَهِيَ مَجْمُوعُ صُورَةِ الْعَالَمِينَ؛ وَهِيَ الْمُخْتَصَرُ مِنَ الْعُلُومِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ؛ وَهِيَ الشَّاهِدُ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ؛ وَهِيَ الْحُجَّةُ عَلَى كُلِّ جَا حِدٍ، وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ؛ وَهِيَ الصِّرَاطُ الْمَمْدُودُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. (١)

ومن هذا المنطلق أيضًا، تميّز الإنسان بوقوع الملائكة ساجدين له؛ وفاق في مقامه ومنزلته جمع الملائكة، وبلغ الحجاب الأقرب الذي يمثل أقرب الموجودات وهو الروح - وهو أعظم من الملائكة - وهذه المناسبة يقولون لحقيقة الإنسان: روح الإنسان، لأنه قابل للوصول إلى مقام الروح، وإلا فإن الروح ليست اسمًا وعلماً لحقيقة الإنسان.

يقول السيّد حيدر الأملي: وصاحب هذا المقام هو مرجع الكل، ومبدؤه ومصدر الكل ومنشؤه. هو المبدأ وإليه المنتهى المعبر عنه: لَيْسَ وَرَاءَ عَبَادَانَ قَرِيَّةً. (٢) وإليه تستند كل العلوم والأعمال؛ وإليه تنتهي جميع المراتب والمقامات، نبيًا كان (صاحب هذا المقام) أو وليًا أو وصيًا أو رسولًا. وباطن هذه النبوة هو الولاية المطلقة؛ والولاية المطلقة هي عبارة عن حصول مجموع هذه الكمالات بحسب الباطن في الأزل؛ وإبقاءها إلى الأبد؛ كقول أمير المؤمنين عليه السلام:

كُنْتُ وَليًّا وَآدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ. وَكَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَا وَعَلَى مِنْ نُورٍ وَوَاحِدٍ. وَكَقَوْلِهِ فِيهِ: خَلَقَ اللَّهُ رُوحِي وَرُوحَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِأَلْفِي عَامٍ - الْحَدِيثُ.
وكقوله فيه: **بُعِثَ عَلِيٌّ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ سِرًّا وَمَعِيَ جَهْرًا.**

ولاقتضاء هذه المرتبة، قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة البيان:

أَنَا وَجْهُ اللَّهِ؛ أَنَا جَنْبُ اللَّهِ؛ أَنَا يَدُ اللَّهِ؛ أَنَا الْقَلَمُ الْأَعْلَى؛ أَنَا اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ؛ أَنَا الْكِتَابُ الْمُمِينُ؛ أَنَا الْقُرْآنُ النَّاطِقُ؛ أَنَا كَهَيْعِصٍ؛ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ؛ أَنَا طَاءُ الطَّوَّاسِيمِ؛ أَنَا حَاءُ الْحَوَامِيمِ؛ أَنَا الْمُلْقَبُ بِبِاسِينٍ؛ أَنَا

(١) «جامع الأسرار» ص ٣٨٣، وذكر في «تفسير الصافي» ذيل ذلك الكلام في ص ٥٥، طبع المكتبة الإسلامية.

(٢) مثل معروف في إيران.

صَادُ الصَّافَاتِ؛ أَنَا سَيْنُ الْمُسَبَّحَاتِ؛ أَنَا التُّونُ وَالْقَلَمُ؛ أَنَا مَائِدَةُ الْكَرَمِ؛ أَنَا خَلِيلُ جَبْرَيْلَ؛ أَنَا صِفْوَةٌ
مِيكَائِيلَ؛ أَنَا الْمَوْصُوفُ بِـ «لَا فَتَى»؛ أَنَا الْمَمْدُوحُ فِي «هَلْ أَتَى»؛ أَنَا النَّبَأُ الْعَظِيمُ؛ أَنَا الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؛
أَنَا الْأَوَّلُ؛ أَنَا الْآخِرُ؛ أَنَا الظَّاهِرُ؛ أَنَا الْبَاطِنُ؛ إِلَى آخِرِهِ. (١)

ولاية غير الله تبعية وولاية الله استقلالية

حذار من أن تبدو هذه المطالب مستبعدة؛ لأنَّ بُعْدَهَا فِيهَا لو قام الإمام بهذه الأفعال بصورة
مستقلة؛ أمّا إذا كان الإمام مرآة محضة والآية الأكمل للحق، وكانت هذه الأفعال مظهرًا للذات الأحديّة
تجلّت في مرآة وجوده، إذا كان كلّ ذلك، فكيف يمكن أن نستبعد قيام الإمام بتلك الأفعال؟ وإذا كان
العمل في باب التوحيد منحصرًا بالحق المتعال؛ فما هو الفرق - عندئذٍ - بين عمل صغير من أعمال الإمام،
كقلع باب خيبر، وقتل عمرو بن عبد ود، ومَرْحَب، وصناديد قريش في خَيْبَر، والأحزاب، وبَدْر؛ وبين
عمل كبير، كطوفان نوح، وإرسال الريح السموم على عاد، وأمثالهما، لأنَّ الفعل في كلتا الحالتين هو فعل
الحق تبارك وتعالى. (٢)

إنّ ولاية المعصومين عليهم السلام نفس ولاية الله تعالى وعينها حقيقة وواقعًا؛ وبهذا اللحاظ،
يكون نظر العارف إلى الإمام عليه السلام نظرًا آليًا ومرآتيًا لا أنه نظر استقلالي... لأنَّ الإمام عليه السلام
ليس لديه شيء من قبل ذاته. (٣)

قصة السيد القاضي والدرويش الذي يحول النحاس إلى ذهب في حرم أمير المؤمنين عليه السلام

يقول المرحوم السيد القاضي: عندما كنت أذهب للتشرف بزيارة حرم الإمام أمير المؤمنين عليه
السلام، كنت أرى على مدى أيام متوالية أحد الدراويش جالسًا قرب الصحن المطهر، وكان يجلس
ساكنًا مشغولًا فقط بالنظر إلى القبة المطهرة ولا يقوم بأي عمل آخر، وكان هذا شغله طوال هذه المدّة،
ثم بعد فترة، وأثناء ذهابي للتشرف بزيارة الحرم لم أراه فتعجّبت من ذلك وتساءلت في نفسي: أين ذهب

(١) «جامع الأسرار» ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) [معرفة الإمام، ج ٥، ص: ٦٤-٧٢]

(٣) [أسرار الملكوت، ج ٢، ص: ١٨٨؛ تأليف ساحة آية الله السيّد محمد محسن الحسيني الطهراني حفظه الله.]

هذا الرجل؟! وعندما خرجت من الحرم صادفته في الشارع، فلحقت به وسألته عن أحواله، وقلت له لم أرك اليوم كما كنت أراك في الصحن، فما الذي حدث؟

فأجاب: لقد طلبت من الإمام أن يمنحني علم الكيمياء والإكسير، فاشتغلت لمدة أربعين يوماً بالأذكار والأوراد، وقمت بالخلوة عند الإمام والتوجه إليه، إلى أن منحني الإمام مناي وأخذت حاجتي منه بالأمس!

فقلت له: من أين فهمت أنك بلغت حاجتك؟ قال: لقد ألهمت بأن قدرة أضيفت على وجودي، وشعرت أن حالتي قد تغيرت ولاحظت حصول قدرة واستطاعة في ذاتي، أستطيع من خلالها التصرف بالأشياء، وفي هذه الحالة من الشعور مر بجنبي صبي يحمل صينيّة نحاس صغيرة، فناديته ووضعت يدي على الصينيّة فتبدلت فوراً إلى ذهب. عندها فهمت أنني لم اشتبه في شعوري، فشكرت الإمام على ذلك، وانتهيت من الأربعينيّة التي كنت فيها!^(١)

انظر إلى هذا الدرويش المسكين في أيّ مستوى يرى الإمام، إنّه يراه في مستوى تبديل النحاس إلى ذهب! والحال أن نفس هذا الإمام يمكنه أن يبدّل وجود هذا الشخص إلى وجود توحيدي، ويجعل منه عبداً صالحاً لله تعالى، ويمنح روحه حقيقة التوحيد، كما فعل بأصحابه الأوفياء ومحط أسرارهِ!^(٢)

إنّ همّة المولى هي أن يُحوّل وجود الإنسان النحاسي إلى ذهب خالص، لا أن يمنحه القدرة على تحويل النحاس الخارجي إلى ذهب. إنّ المولى بحر زاخر ومحيط واسع لا ساحل له، إنّه التجلي الأعظم للباري تعالى، وهو مستغرق في بحار التوحيد، وفانٍ في ذات الحق. ومن هنا فإنه يعطي كل إنسان ما يريده؛ فإذا أراد الجواهر أعطاه إياها، وإذا أراد منه لؤلؤاً وألماً منحه ذلك؛ إذ لا فرق لديه أيّ شيء يعطي، لأنّه لا يعطي شيئاً من عنده حتى يأسف لفقدان ما يمنحه ويتخلّى عنه، بل هو يعطي من مائدة الحق تعالى وهي لا حدّ لها. فهو واسطة والأصل شخص آخر، وهو آلة للحقّ بينما حقيقة الوجود تنشأ من الحق. ومن الواضح أنّ آلة الحقّ وواسطة الحق لا إرادة لها أو اختيار من تلقاء نفسها، بل هو متحقّق وموجود بوجود الحق. فعدم محدوديته إنما هي لعدم محدودية الحقّ تعالى؛ إذ أنه مطلق بإطلاق الحق، وهو

(١) مطلع انوار، ج ١، ص ١٢٣، آية الله العلامة السيد محمد الحسين الطهراني قدس سره.

(٢) [أسرار الملكوت، ج ٢، ص: ٢٥٠ - ٢٥١، تأليف ساحة آية الله السيّد محمد محسن الحسيني الطهراني حفظه الله.]

مفيض بإفاضة الحق، لا أنه غير محدود بالاستقلال؛ مثل الباري تعالى وفي عرضه، أو أنه مفيض مثل إفاضة الله، فهذا عين الشرك والكفر. وذلك لأنه لا إثنينية في عالم التحقق والوجود؛ فليس لدينا مفيضان وليس لدينا معطيان، بل المفيض والمعطي واحد فقط وهو الحق تعالى. لذا لم يكن يرى أمير المؤمنين عليه السلام صدور هذا الفيض وهذه العناية من نفسه، بل كان يراها من الله. فإن كان الأمر كذلك ف:

گر گدا کاهل بود تقصیر صاحب خانه چیست!؟

[يقول: إن كان السائل كسولاً فما ذنب صاحب المنزل؟] ^(١)

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ فَارْزَعْ هَمَّكَ يَكْفِيكَ رَبُّ النَّاسِ مَا أَهَمَّكَ ^(٢)

الهمة العالية؛ تعني أنه يجب أن يتوجه نظر الإنسان في هذا الطريق إلى الله فقط، ويعمل لله فحسب، ولا يتنازل عنه أبداً، ولا يقنع بغير الله، ولا يعمل لغير الله، فمن يعمل لغير الله سوف لن تستقر نفسه، ولن يرتوي من مردود العمل الذي يقوم به لغير الله، ولا يشبعه أبداً، لأن أجره الإنسان عبارة عن ذاك الهدف الذي يعمل لأجله، فمثلاً لو قام شخص بعمل كي يقال له: أنت عالم، وهذا عالم .. فعلى أي مكسب سوف يحصل يوم القيامة! فحينئذ سيقال له: قد قيل عنك في الدنيا كذا وكذا .. ماذا عملت لنا وماذا أحضرت لأجلنا؟ ^(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام:

يَا ابْنَ الدُّنْيَا مَهَلًا مَهَلًا تُفْنِي الدُّنْيَا قَرَنًا قَرَنًا
مَا مِنْ يَوْمٍ يَمْضِي عَنَّا إِلَّا يُهْوِي مِنَّا رُكْنًا
زِن مَّا يَأْتِي وَزُنَّا وَزُنَّا
لَوْ لَا جَهْلِي مَا إِنْ كَانَتْ عِنْدِي الدُّنْيَا إِلَّا سَجَنًا ^(٤)

الدنيا هي الانصراف عن الحق تعالى إلى غير الحق، هذه هي الدنيا!

(١) [المصدر السابق، ص ٢٥٠].

(٢) [نور ملكوت القرآن، ج ٣، ص: ٢٤٢، تأليف آية الله العلامة السيّد محمد الحسين الحسيني الطهراني قدس سره].

(٣) [مباني السير والسلوك إلى الله، الجلسة الثانية. تأليف آية الله العلامة السيّد محمد الحسين الحسيني الطهراني قدس سره].

(٤) [معرفة الإمام، ج ١٢، ص: ٢٢٨].

الدنيا هي الانصراف عن التوحيد إلى عالم الكثرة، هذه هي الدنيا!

وهل هذا منحصر في عالم المادة؟

لا. بل يمكن أن يكون في عوالم أخرى، يمكن أن يكون الإنسان في عالم البرزخ والمثال وتحجبه تلك الصور المثاليّة والصور الجماليّة عن الحقّ تعالى، فيكون ذلك دنيا، والصور الجماليّة هي مثل الحور العين والمناظر الجميلة والعجيبة، وما في تلك العوالم. فإذا منعه ذلك عن متابعة طريقه وعن الوصول إلى الحقّ والهدف وأرضى قلبه، فهو دنيا، فإذا لم يست الدنيا خصوص الكرة الأرضيّة والنعم التي فيها، وإنّما هي كلّ ما يوجب انصراف الإنسان عن الوصول إلى التوحيد مهما كان...

الدنيا هي الخواء والتخيّلات لا المادة ولا الماء والطعام والخبز والأرز. الدنيا هي النظرة

الاستقلاليّة إلى هذه الأشياء والغفلة عن تلك الحقيقة هذا هو معنى الدنيا.^(١)

وَتَدَارِكُنَا وَاسْتَخْدِمُنَا

يَا مَوْلَانَا لَا تُهْلِكُنَا

جَلْمَكَ عَنَّا

وَاسْتَخْلِصْنَا

عَفْوِكَ عَنَّا

قَدْ جَرَّأْنَا

يَا بَنَ الدُّنْيَا مَهْلًا مَهْلًا^(٢)

يَا بَنَ الدُّنْيَا جَمْعًا جَمْعًا!

(١) [محاضرات شرح حديث عنوان البصري، المحاضرة العاشرة].

(٢) [تفسير أمير المؤمنين عليه السلام لصوت الناقد، معرفة الإمام، ج ١٢، ص ٢٢٨]